حوارات الإسكندرية

د. حسن حنفى(*)

تأسست الجمعية الفلسفية المصرية برعاية منصور فهمى باشا عام ١٩٤٤. ثم توقفت لظروف الحرب وأعيد إنشاؤها عام ١٩٧٦ حتى الآن. توقفت اثنين وثلاثين عاما واستمرت بالمثل اثنين وثلاثين عاما. ومازالت مستمرة دون توقف.

والمعهد السويدى تم افتتاحه فى أكتوبر ٢٠٠٢(١). وكان من قبل القنصلية السويدية بالإسكندرية لرعاية السفن. فأصبح بفضل مديره الأول يان هننجسون شعلة من النشاط الفكرى وحلقة اتصال بين الباحثين العرب، وبينهم وبين زملائهم الأوروبيين خاصة من الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط. وهو مفكر سويدى قبل أن يكون مديرا لمعهد. له تجربة طويلة فى حوار الأديان بأوبسالا وبالهند. يتكلم العربية كأحد أبنائها، العامية والفصحى. وأول من كتب عنى عدة دراسات بالسويدية.

وقد استطاع خلال ست سنوات تحويل المعهد من مجرد مركز ثقافى إلى

(*). أستاذ الفلسفة غير المتفرغ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، سكرتير عام الجمعية الفلسفية المصرية، ومنسق حوارات الإسكندرية.

(١). افتتحه د. عمرو موسى، وزير الخارجية المصرية، والسيدة أنا لند وزيرة الخارجية السويدية.

مؤسسة علمية ثقافية. وأصبح أحد العلامات الثقافية فى الثغر مع مكتبة الإسكندرية وجامعة الإسكندرية وقصور الثقافة وجمعيات الفنون بها. كان مكان لقاء لعدة جمعيات علمية عربية مثل الجمعية العربية لعلماء الاجتماع الشبان، ومركز دراسات الوحدة العربية، والجمعية الفلسفية المصرية.

كانت أحد النوايا منذ البداية جمع أصحاب المشاريع العربية المعاصرة للقاءات مستمرة فى الإسكندرية للحوار بينهم، اثنان اثنان على سنوات متتالية بدلا من أن يظلوا فى عزلة عن بعضهم البعض، كالنجوم الزاهرة، تضئ فى الليل البهيم. تلتقى أشعتها دون أن تتلاقى أجسامها[١]. ومنذ اعتذار اثنين وقبول اثنين فمازالت النية معقودة على الاستمرار فى ذلك فى ظروف وأماكن ومنابر أخرى. ويبدو أنه إذ تلاقت الأرواح والنفوس فإن ذلك يغنى عن التقاء الأجسام والأجساد.

وتضم حوارات الإسكندرية خمس حلقات على خمس سنوات متتالية ٢٠٠٣-٢٠٠٧[٢]. والآن بصدد الإعداد للحلقة السادسة فى ١٦-١٨ ديسمبر ٢٠٠٨

---

(١). وأهم هذه المشاريع "نقد العقل العربى" لمحمد عابد الجابرى، "نقد العقل الإسلامى" لمحمد أركون، "التراث والتجديد" لحسن حنفى، "من التراث إلى الثورة" للطيب تيزينى، "نقد الفكر الدينى" لصادق جلال العظم، "نقد النص الدينى" لنصر حامد أبو زيد. وربما آخرون مازالوا فى مرحلة التكوين.

(٢). كانت الأولى حول د. نصر حامد أبو زيد ترحيبا بزياراته المتكررة لمصر وتمهيدا لعودته إلى الوطن، ومحمد أركون الذى اعتذر لمرضه فى اخر لحظة. والثانية احتفالا ببلوغى السبعين عاما (١٩٣٥-٢٠٠٥)، ومع عابد الجابرى الذى منعته ظروفه الصحية

عن "ثقافات البحر الأبيض المتوسط، الوحدة والتعدد"، بمناسبة الندوة الفلسفية العشرين "الإسكندرية ملتقى الحضارات" بمناسبة اختيار الإسكندرية عاصمة الثقافة الإسلامية. وقد انتقلت الحوارات من الحوار بين العرب وأنفسهم فى الحلقات الأربعة الأولى إلى الحوار بين العرب والأوروبيين فى الحلقة الخامسة.

كان الهدف من الحلقة الأولى رد الاعتبار إلى العالم والمفكر والأستاذ نصر حامد أبو زيد بعدما وقع له من اضطهاد جامعى وظلم قانونى بمناسبة أعماله ومؤلفاته والنيل من إيمانه كما هى العادة مع كل المفكرين الأحرار والمجددين فى تحليل التراث. وقد قامت الجمعية الفلسفية المصرية بهذا الدور. واشترك فى الندوة الخامسة عشرة "فلسفة المقاومة"، والسادسة عشرة عن "الوطن والمواطنة". وعاد صوته إلى كلية الآداب صادحا كما كان قبل الهجرة. ولا هجرة بعد الفتح. وقد كشف حوار الإسكندرية عن مدى ارتباط المفكر بوطنه، يحمله بين جنبيه حتى ولو هاجر. كما بين مدى تقدير المفكرين العرب والباحثين الشبان له ومدى أثره الفكرى والمنهجى عليهم.

وفى غياب أنور عبد الملك واعتذارات محمد أركون ومحمد عابد الجابرى

من الحضور إلى الإسكندرية. والثالثة مع عبد الوهاب بوحديبة ورضوان السيد. والرابعة مع الطيب تيزينى. والخامسة حوار الأديان مع مايكل فيتزجيرالد ممثل الفاتيكان فى القاهرة والأب رينو مدير المعهد البابوى للدراسات العربية بروما.

ألقيت الأبحاث حولهم[1]. وتمت مناقشة أفكارهم وكأنهم حاضرون. وأظهرت الحوارات مدى تأثر شباب الباحثين بهم، وكيف أصبح لكل منهم مدرسة تأتم به، وتدافع عنه لدرجة التحزب والتعصب مما يصعب أخذ موقف نقدى منهم. كون الأركونيون مدرسة، والجابريون مدرسة أخرى اعتزازا بالأصالة المغربية. وكانت غالبية أنصار المدرستين من الجزائريين. كما قدمت أبحاث عامة حول المشاريع العربية المعاصرة كلها[2].

أما الحوارات عنى فقد كثرت الأوراق المعدة سلفا. واقتصر معظمها على البيان الفلسفى الأول "التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم" مع مداخلات سريعة دون قراءة تحليلية نقدية لكتاب "من العقيدة إلى الثورة"[3]. ومع ذلك

(١) أهمها: ١- عبد القادر بوعرفة: نقد مفاهيم ورؤى الجابرى حول العقل المستقيل.
٢- محمد المجتبى عبد العزيز: قراءات فى نقد العقل السياسى عند الجابرى.
٣- عمر الزاوى: الخطاب الفكرى النقدى حول الإسلام، مقاربة منهجية لفكر محمد أركون.

(٢) وذلك مثل بحث مصطفى عبده خير: أزمة الخطاب الفلسفى المعاصر ومحاولة تجديد المفاهيم الفلسفية.

(٣) لم يحضر د. محمود إسماعيل الذى كان قد تعهد بعرض نقدى لكتاب "من النقل إلى الإبداع". ولم يكن "من النص إلى الواقع" (٢٠٠٤-٢٠٠٥) أو "من الفناء إلى البقاء" (٢٠٠٨) قد ظهرا بعد.

قدمت أوراق عدة بمناسبة بلوغ صاحب المشروع السبعين عاما[1].

وكان الحوار مع عبد الوهاب بوحديبة حول أعماله ابتداء من "الإسلام والجنس" أو باقي مؤلفاته التي تتسم بطابع هادئ دون الدخول في معارك فكرية. وربما نتج هذا عن هدوء الطبع والبعد عن الحياة العامة. وقد أمكن إخراج المؤلف الهادئ الطبع الدمث الخلق، المنخفض الصوت، الحي الخجول عن طبعه فتحمس للفكر، وأخذ المواقف. وبرز وجهه الآخر مفكرا ملتزما، صاحب قضية، واضعا نصب عينيه هدفا هو البحث الفلسفي. لا يدعي مذهبا أو مشروعا أو رؤية بل صاحب منهج تأملي يجمع بين البحث والفكر، بين الموضوع والذات.

وكان الحوار مع رضوان السيد حول مؤلفاته ومنشوراته وإشرافه على عديد من المجلات في الوطن العربي مثل "الفكر العربي" في معهد الإنماء

---

(١) أهمها: ١- بوزيد بومدين: رباعية التجديد والإبداع في قراءة التراث والعصر عند حسن حنفي.

٢- جليد قادة: نقد التراث عند حسن حنفي.

٣- نابي بو علي: التراث والتجديد، مشروع فكري في الخطاب العربي المعاصر.

٤- محمد هاشم عبد الله: ظاهريات التأويل، قراءة في تحليل الخطاب الفلسفي عند حسن حنفي.

٥- علي الربيعي: المنهج وتأويل التراث في فكر حسن حنفي.

٦- صالح مهدي الهاشم: علم الكلام الجديد، قراءة في مشروع حسن حنفي.

العربي وأخيرا مجلة "التسامح" فى عُمان[1]. وكان السؤال الأبرز كيفية الجمع بين المفكر الحر كفيلسوف وبين الإفتاء لأولى الأمر ولجمهور السنة وباعتباره مستشارا لرئيس الوزراء.

وفى حوار مع الطيب تيزينى تمت مناقشة مشروع "من التراث إلى الثورة" موضوعا، وهو تطور الفكر العربى من بواكيره الأولى حتى العصر الحاضر، ومنهجا، وهو المنهج المادى الجدلى. وكان نقاشا شفاهيا حيا على درجة عالية من التنظير، وكيف خرج المشروع من المنهج التاريخى فى أجزائه الأولى إلى منهج المفاهيم فى الجزء الرابع عن "الله"، وكأن المنهج التاريخى قد ثار ضد نفسه[2].

ثم قررت حوارات الإسكندرية أن تنتقل إلى مرحلة أخرى بعد أن تم الحوار مع الذات، بين المفكرين العرب وأنفسهم، إلى الحوار مع الآخر، الضفة الجنوبية بحوض البحر الأبيض المتوسط مع ضفته الشمالية فكان الحوار الأخير مع المفكرين العرب ومايكل فيتزجيرالد ممثل بابا الفاتيكان فى مصر، والأب رينو رئيس المعهد البابوى للدراسات العربية بروما حول شرط الحوار وموضوعاته، ماضيه ومستقبله، وكيفية التخلص من الصور النمطية التى

---

(١) ومن الأبحاث التى ألقيت:

- بوزيد بومدين: الفقه والسياسة فى النص السلطانى، تقديم لأعمال رضوان السيد.

(٢) من الأبحاث التى قدمت:

- جمال مفرج: الطيب تيزينى والموقف الفلسفى العربى من الفلسفة.

تصنعها كل حضارة عن الأخرى والتى تمنع من الحوار.

كان الهدف هو الانتقال من حوار الأديان إلى حوار الثقافات إلى حوار الحضارات لتحقيق فائدة مزدوجة. الأولى معرفة الأوروبيين فى الشمال أن هناك مفكرين فى الجنوب، وليس فقط الكتاب والأدباء والروائيين والقصاصين والمسرحيين والفنانين التشكيليين والسينمائيين، وأن الفكر العربى ليس فقط روافد من تيارات الفكر الأوروبى الحديث أو المعاصر. فالحوار بين ندين متكافئين. كل طرف له حظه فى النقل والإبداع. نقل الجنوب عن الشمال مرتين: الأولى فى العصر اليونانى، والثانية فى العصر الحديث. وإبداع مرتين: الأولى فى أوائل العصر الوسيط الأوروبى حتى أواخره بعد ترجمة الفلسفة والعلوم العربية إلى اللاتينية مباشرة أو عبر العبرية. فكانت أحد مصادر الإصلاح والنهضة الأوروبية فى بدايات العصور الحديثة. والثانية ربما الآن عندما بدأت أزمة الوعى الأوروبى ونهاية العصور الحديثة وسيادة نزعتى ما بعد الحداثة والتفكيك، وحديث الفلاسفة الأوروبيين أنفسهم عن "أفول الغرب" (اشبنجلر)، أزمة العلوم الأوروبية (هوسرل)، انقلاب القيم (ماكس شيلر)، الحضارة الأوروبية فى قفص الاتهام (توينبى)، "الغرب ما هو إلا آلة تصنع فى كل عصر آلهة جديدة" (برجسون)، و"أزمة الوعى الأوروبى" (بول آزار)، وبسبب الهجرات العربية من الجنوب إلى الشمال بحيث أصبح الإسلام الدين الثانى فى أوروبا، بدأ الإسلام يظهر كمخلص جديد للغرب مما انتهى إليه يعطيه إمكانية لإحياء جديد وهو فى نهاية عصوره الحديثة كما حدث أول مرة فى بداية هذه العصور، وإعطاء نموذج جديد للقيم يخلو من العنصرية، وغرور

القوة، والعدوان على الآخرين. لذلك عمد إلى تشويهه بربطه المستمر بالعنف والإرهاب والرسوم الساخرة للرسول، ومنع الحجاب فى بعض الأماكن، والتضييق على المسلمين فى حرية الحركة والتنقل وممارسة النشاط العام. كل ذلك محاولات للدفاع عن النفس ضد هذا الانتشار من الجنوب إلى الشمال، وتحول بعض الأوروبيين أنفسهم إلى الإسلام.

لم تسجل هذه الحوارات. فذاك إكثار على المضيف تسجيلا وتفريغا وتدوينا. ومع ذلك كانت آثارها فى الترابط المعنى بين المفكرين العرب من المشرق والمغرب فى حميمية فلسفية وألفة إنسانية ينتظرها المفكرون العرب فى ديسمبر من كل عام بالرغم من الأعياد الإسلامية والمسيحية وبالرغم مما قد يهطل به شتاء الإسكندرية من أمطار. يكفى مرح الفلاسفة فى صحبة الطريق بين القاهرة والإسكندرية وفى أمسياتها.

مازالت الجمعيات العلمية والأدبية فى الوطن العربى تعبر عن وحدته بالرغم من الفرقة بين السياسيين والخلاف بين أنظمة الحكم. العقل يوحد، والسلطة تفرق. لذلك جعل قدماء الفلاسفة على رأس المدينة الملك الفيلسوف أو الفيلسوف الملك الذى جمع بين الحكمة والملك كما فعل سليمان. والسؤال لنا: الإسكندر أم أرسطو، نابليون أم فشته، السيف أم القلم؟